

الحمار العجيب

تأليف / محمد محمود القاضى

سلسلة الحيوانات والطيور فى القرآن (٢١)

الحمار العجيب

تأليف

محمد محمود القاضى

رسوم: ياسر سقراط   إخراج فنى: ألوان للإعلان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
رقم الإيداع : ٢١٧٦٨ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-265-583-7

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص- ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢- فاكس ٣٩٣١٤٧٥
www.eldaawa.com Email: info@eldaawa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ
لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل
لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ
نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

«سورة البقرة ٢٥٩»

فى الإجازة الصيفية، سافر أحمد مع والده إلى القرية لزيارة عمه الذى كان يسكن هناك..

وذات يوم، ذهب أحمد مع ابن عمه أسامة لزيارة الحقول والاستمتاع بمنظرها الجميل، وخضرتها الرائعة.. وجلس أحمد مع أسامة فى ظل شجرة التوت الكبيرة الموجودة فى جرن الحقل يتبادلان الحديث، وكان قريبًا منهما بقرة وجاموسة وبعض أغنام وحمار.. وأخذ أسامة يحدث أحمد عن فوائد هذه الماشية والحيوانات بالنسبة لهم فى القرية.. وعندما جاء الحديث عن الحمار وفوائده بالنسبة للفلاح فى القرية.. أخذ الحمار ينهق بصوت عال.. فضحك أحمد وقال: يبدو أن الحمار يعرف أننا نتحدث عنه الآن.. وربما يرحب بوجودى بينكم..

ضحك أسامة وقال: إنه هكذا دائمًا.. يزعجنا بصوته طوال اليوم...



قال أخمد: ربما يكون معجبًا بصوته.. ألا يفهم هذا الحمار أن صوته من أنكر أصوات الحيوانات.. ولقد شبه الله سبحانه الإنسان الذى يرفع صوته عاليًا دون حاجة بصوت الحمار فقال: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان:١٩).

قال أسامة: لقد سمعت مدرس التربية الدينية فى المدرسة وهو يقول: يجب على المسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم إذا سمع نهيق الحمار.. فالرسول ﷺ يقول: "إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً. ضحك أحمد وقال: إذًا لم يكن الحمار يرحب بى عندما أطلق هذا النهيق الشديد..

قال أسامة: إنه لا يفهم شيئًا.. كل مهمته فى الحقل أن يركبه أحدنا لقضاء بعض المصالح،أو نحمل عليه



ما نريد توصيله إلى البيت.. وهو لا يهتم بما هو فوق ظهره ولا يفرق بين أن يحمل فاكهة أو طينًا..

قال أسامة: نعم يا أحمد هذه حقيقة.. ولذلك شبه القرآن الكريم اليهود الذين لم يعملوا بما جاء فى التوراة التى أنزلها الله عليهم بالحمار الذى يحمل فوق ظهره الكتب المفيدة النافعة الممتلئة بالعلم ولا يدرى ما بداخلها.. والله سبحانه يقول فى ذلك: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الجمعة:٥).

وفجأة فى هذه اللحظة.. سمع أحمد وأسامة نهيقًا شديدًا يصدر من الحمار.. ثم التفت الحمار إلى أحمد وأسامة وقال: أراكما تتحدثان عنى ولا تذكران شيئًا من محاسنى..

تعجب أحمد وأسامة من كلام الحمار وقالا: وأى محاسن لك تريد أن نذكرها أيها الحمار العجيب؟



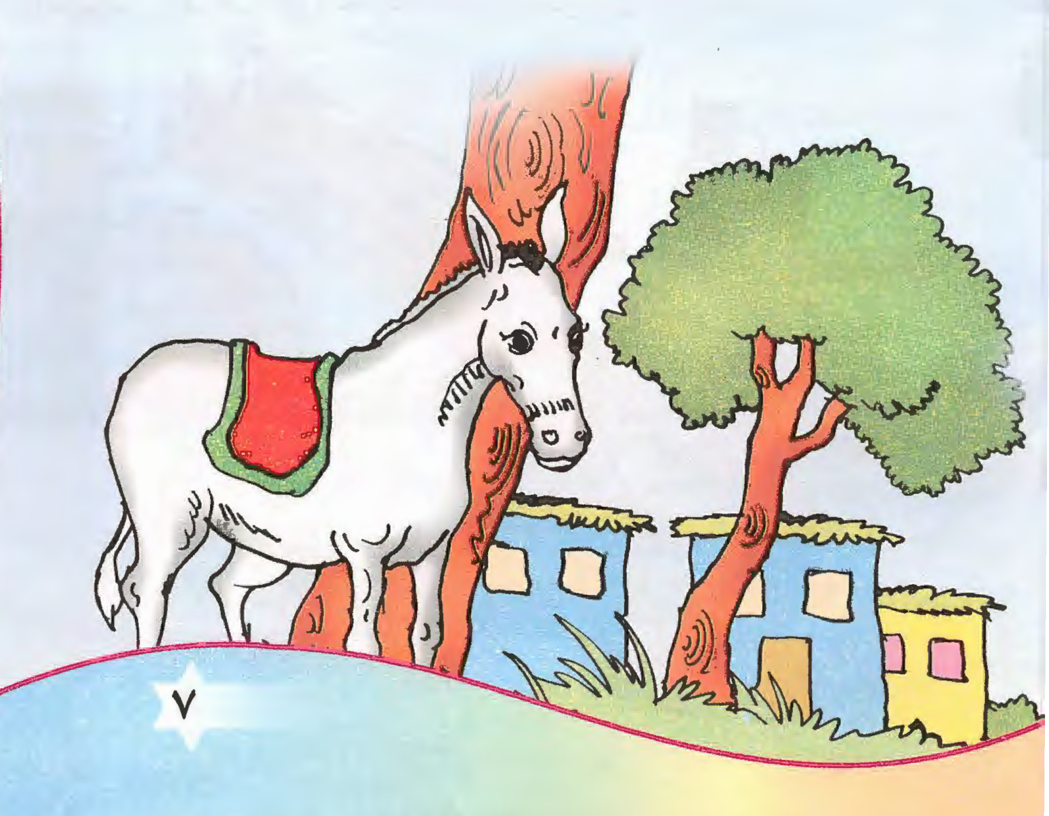
قال الحمار: إذا كان نهيقى منكرًا فهكذا خلقنى الله سبحانه.. وإذا كنت لا أفهم أى شىء عن حقيقة ما أحمله فوق ظهرى .. فلقد خلقنى الله سبحانه لأداء هذه المهمة بأن يركب الناس فوق ظهرى ويحملوا على ظهرى ما يريدون من حاجاتهم.. فقد ذللنى الله لحاجة الإنسان ليستمتع بى وينتفع بإمكاناتى.. والله سبحانه وتعالى يقول:
﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨) ﴾ (النحل:٨)..

قال أحمد: عندك حق أيها الحمار العجيب..

قال الحمار: أراك يا أحمد تصفنى بأننى حمار عجيب.. والأعجب منى هو جدى الأكبر، حمار الرجل الذى مر على القرية..

قال أسامة: هل تستطيع أن تحكى لنا أيها الحمار قصة جدك الحمار هذه..

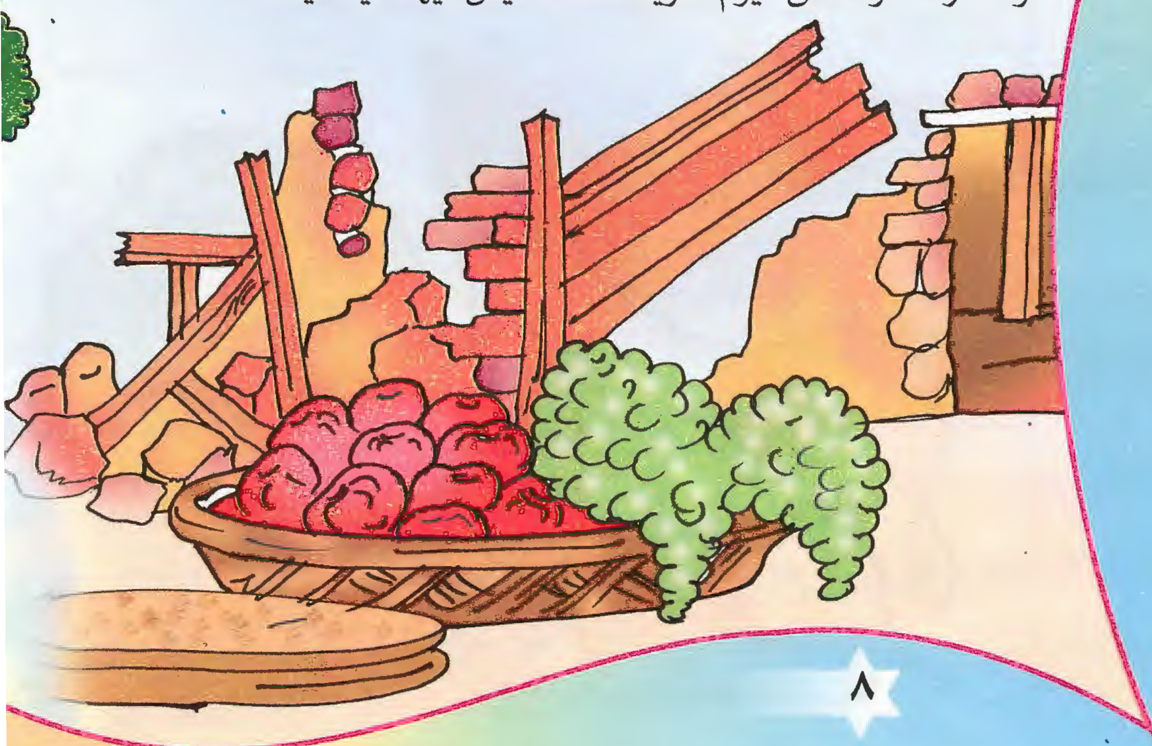
قال الحمار: نعم يا أسامة.. إننا معشر الحمير نعتبر هذه القصة التى حدثت لجدنا الحمار فخرًا لنا لأنها آية من آيات الله وعجائب قدرته.



قال أحمد: أراك فخوراً بجدك أيها الحمار.. فهيا أسمعنا ما عندك.

قال الحمار: منذ زمن بعيد، مر رجل من الصالحين -وربما كان هذا الرجل هو نبى الله عزير عليه السلام- على قرية خربة، وكان ذلك فى وقت الظهيرة، والحر شديد، فنزل الرجل عن حماره، ومعه سلة فيها تين، وسلة فيها عنب.. وجلس الرجل فى مكان ظليل، وأخرج قصعة كانت معه، فاعتصر العنب الذى كان معه فى القصعة، ثم أخرج خبزاً يابساً معه فألقاه فى العصير ليبتل ليأكله..

ثم استلقى الرجل على ظهره ليستريح بعض الوقت.. وأسند رجليه إلى الحائط.. فوقعت عينه على سقف تلك البيوت،ورأى ما فيها وهى محطمة على قواعدها، وقد هلك أهلها..ورأى الرجل آثاراً لعظام بالية قديمة.. فتعجب الرجل من آثار الموت الذى أصاب هذه القرية.. والتى لا شك كانت فى يوم من الأيام قرية تنبض بالحياة والحركة.. وها هى اليوم خاوية صامتة ليس فيها أية حياة..





فقال الرجل: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟
قال أسامة: وهل كان هذا الرجل الذى مر على القرية ينكر حقيقة البعث والنشور؟
قال الحمار: لا يا أسامة.. الرجل يريد أن يعرف الكيفية.. واللغة تبين ذلك، فهو يقول: أنى التى تكون هنا بمعنى كيف.. والسؤال عن الكيفية معناه التيقن من الحدث.. فالرجل لم يكن يشك فى قضية الإحياء من الله.. ولكنه عاشق ومشتاق لأن يعرف الكيفية ليعيش فى جو الإبداع الجمالى الذى أنشأ هذه الصنعة..
لقد كانت مشاهد الخراب والدمار الموجودة فى القرية شديدة.. فجعلت الرجل يتساءل: كيف تدب الحياة فى هذا الموات؟
قال أسامة: يا ترى ماذا حدث بعد ذلك؟
قال الحمار: حدث أمر عجيب يا أسامة.. فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون الإجابة تجربة «معاشة» فى ذات السائل.. لذلك قال تعالى: فأماته الله مائة عام ثم بعثه..

قال أسامة: هذا أمر عجيب حقًا .. الرجل يموت لمدة مائة سنة ثم يعود للحياة مرة أخرى.. ولكن ما علاقة ذلك بسؤال الرجل عن كيفية عودة الحياة للقرية؟.. كان من الممكن أن يعيد الله سبحانه الحياة للقرية ..

قال أحمد: هذه حكمة عظيمة من الله لنا يريد أن يعلمنا أن هناك أمورًا ينبغى ألا تعالج بالبرهان العقلى.. ولا حتى بالمنطق الشعورى..ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذى يراه الإنسان.. وإنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة.. الذى يمتلئ بها الحس.. ويطمئن بها القلب دون كلام..

قال الحمار: صدقت يا أحمد.. وهذا هو حقيقة ما حدث للرجل.. فقد سأله الله سبحانه: كم لبثت؟

فأجاب الرجل: لبثت يومًا أو بعض يوم..

قال أحمد: يبدو أن الرجل تشكك فى المدة التى قضاها منذ أن مات إلى أن عادت إليه الحياة..

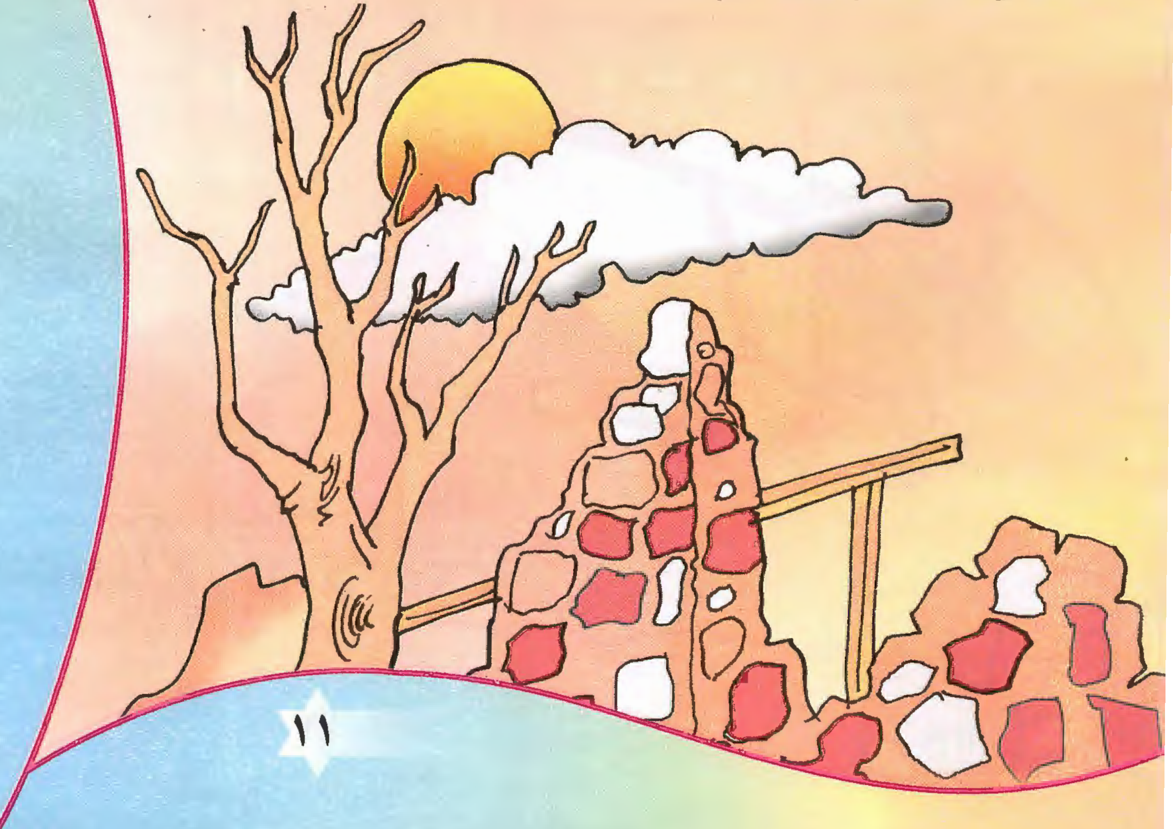


قال الحمار: لقد عادت الحياة للرجل قبيل غروب الشمس.. وكان قد أوى إلى هذا المكان فى فترة الظهيرة .. وعلى هذا الأساس تكون إجابته منطقية ومعقولة .. فربما أمضى يومًا كاملاً أو بعض يوم..

قال أحمد: وربما لم يجد الرجل أية تغيرات فيه تجعله يدرك ما حدث له.. كما أن الإحساس بالزمن لا يكون إلا مع الحياة والوعى.. والحس الإنسانى ليس هو المقياس الدقيق للحقيقة.. فهو يخدع ويضل.. فيرى الزمن الطويل المديد قصيرًا لأمر طارئ.. كما يرى اللحظة القصيرة الصغيرة دهرًا طويلاً لأمر طارئ كذلك..

قال الحمار: وهنا جاءه جواب الحق سبحانه: بل لبثت مائة عام..

قال أسامة: لقد أصبح الأمر لغزًا.. فالحق سبحانه صادق ومنزه.. والرجل المؤمن صادق فى حدود ما رأى من أحواله..



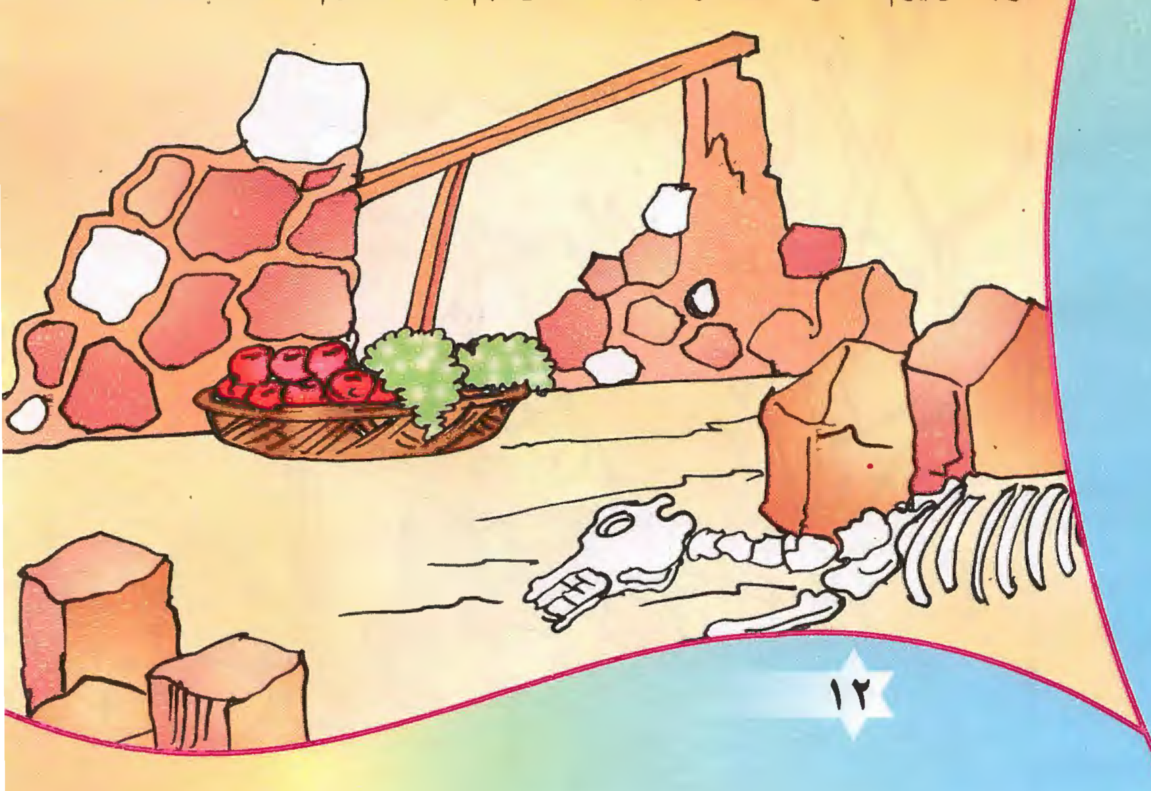
قال الحمار: لا تنس يا أسامة الأشياء التى كانت مع الرجل، جدى الحمار.. والطعام المكون من عصير العنب والتين.. فهذه الأشياء هى الأبطال الحقيقية فى هذه القصة..

قال أحمد: وكيف ذلك أيها الحمار؟

قال الحمار: لقد أمر الله سبحانه الرجل أن ينظر إلى طعامه وشرابه أولاً.. فلما نظر الرجل إلى طعامه وشرابه وجده كما هو سليمًا لم يصبه التعفن أو الفساد.. فحالة الطعام إذن تتفق مع تصور الرجل عن المدة التى قضاها ميتًا..

قال أحمد: وماذا عن جدك الحمار؟!

قال الحمار: هنا حقيقة المعجزة.. فالله سبحانه وتعالى أمر الرجل أن ينظر إلى حماره..فتطلع الرجل ببصره حوله فلم يجد حماره حيًا وإنما كان عبارة عن عظام بالية مبعثرة.. وهذه الصورة التى كان عليها الحمار لا يمكن أن تحدث فى يوم أو بعض يوم.. فموت الحمار قد يحدث فى يوم أو بعض يوم ..لكن أن يبلى جسمه



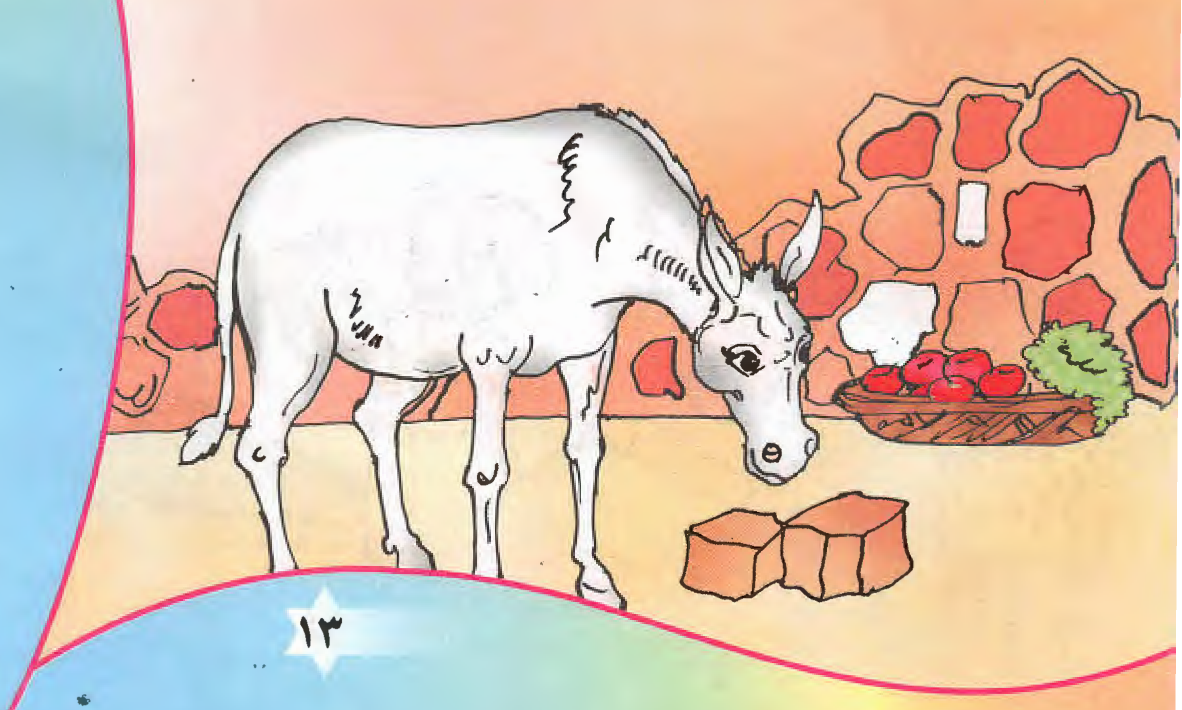
ثم ينتهى إلى رماد فتلك قضية تريد زمانًا طويلاً لا يتسع له إلا مائة عام.. وهذا هو الدليل على صدق مرور مائة عام..

قال أحمد: يا لها من مفارقة عجيبة.. هذا الاختلاف فى المصائر والجميع فى مكان واحد.. ومعرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة.. الرجل لم يصبه شىء.. وكذلك طعامه.. والحمار أصبح عظامًا بالية..

قال أسامة: إنها حقًا قدرة الله سبحانه التى لا يعجزها شىء.. والتى تتصرف مطلقة من كل قيد.. طلاقتها من التقيد الذى نحسبه نحن قانونًا كليًا لازمًا ملزمًا لا سبيل إلى مخالفته أو الاستثناء منه..

قال أحمد: وهل انتهت القصة على ذلك؟

قال الحمار: لا يا أحمد لم تنته القصة بعد.. فقد حدث بعد ذلك مشهد مهيب جليل.. فقد أمر الله سبحانه بعودة الحياة إلى الحمار .. وتعلق بصر الرجل بحماره .. حيث رأى كل عظمة فى حماره وهى ترفع من الأرض..وشاهد كل



عظمة تركب مكانها.. وبعد تكوين الهيكل العظمى للحمار بدأت رحلة كسوة العظام لحمًا وبعد ذلك تأتى الحياة.. ويطلق جدى الحمار نهيقًا عاليًا إيذانًا ببداية حياة جديدة له..

ضحك أحمد وقال: هذه أول مرة فى تاريخ الحمير يكون لنهيقها فائدة..

قال أسامة: إن هذه القصة تعلمنا أن نتعلق بالله مباشرة.. فالله فعال لما يريد..

قال الحمار: نعم يا أسامة وهذا ما قاله الرجل عندما عاين بنفسه وشاهد حقيقة الموت والحياة، فقد قال: أعلم أن الله على كل شىء قدير..

قال أحمد: إننى أتخيل الآن موقف هذا الرجل عندما يعود إلى قريته بعد أن غاب عنهم هذه الفترة الطويلة.. فلا شك أنه سيكون لقاء فريدًا ..



قال أسامة: إن مرور مائة سنة من عمر أية أمة تكون مليئة بالتغيرات والأحداث الجديدة.. وربما لن يجد الرجل من يذكره..

ضحك الحمار وقال: إن من قالوا إن هذا الرجل الذى مر على القرية هو نبى الله عزير عليه السلام يذكرون أنه لما عادت إليه الحياة ومعه جدى الحمار عاد إلى قريته فوجد أمرها قد تغير بما يتناسب مع مرور مائة عام.. وكان فى تلك القرية امرأة مولاة لهم - أَمَة من الإماء- وكانت هذه الأمة قد كبر سنها وأصابها العمى وأصابها الشلل وأصبحت مقعدة.. فلما دخل عليها العزير، وقال لها: أنا العزير.. قالت الأمة: ذهب العزير من مائة عام ولا ندرى أين ذهب ولم يعد..

قال: أنا العزير!

فقالت المرأة: إن للعزير علامة هى أنه مجاب الدعوة فادع الله أن يرد علىَّ بصرى وأن يخرجنى من قعودى هذا ..



قال أحمد: يا سبحان الله.. الإنسان لا ينسى نفسه أبدًا .. ولابد أن يستفيد من كل المواقف .

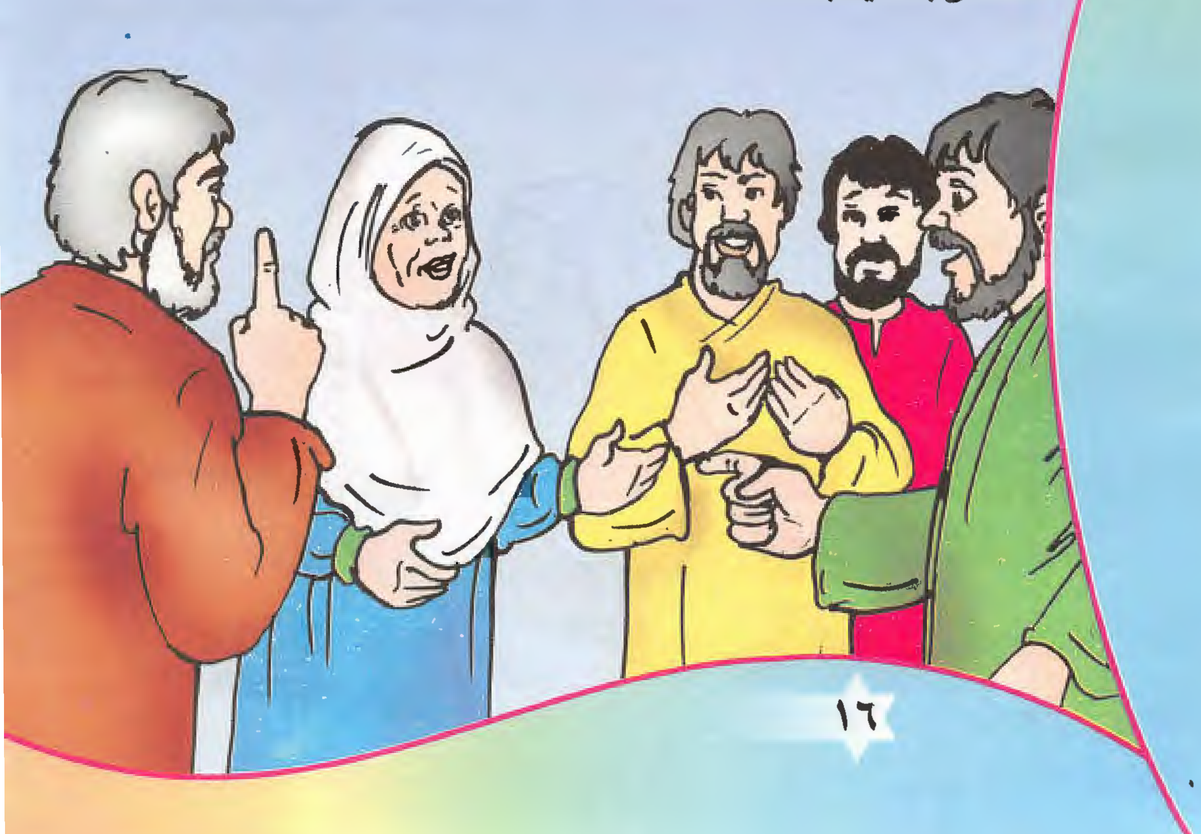
قال الحمار: فدعا العزير الله سبحانه، فبرئت المرأة .. فلما برئت نظرت إليه فوجدته هو العزير.. فذهبت إلى قومها وأعلنت أن العزير قد عاد..

وبعد ذلك ذهب العزير إلى ابنه فوجده قد تجاوز مائة سنة.. وكان العزير لا يزال شابًا فى الخمسين من عمره فى نفس عمره الذى أماته الله فيه ثم أحياه فى عمره نفسه بعد مائة عام..

قال أسامة: وهل صدق الابن أن هذا هو أبوه؟

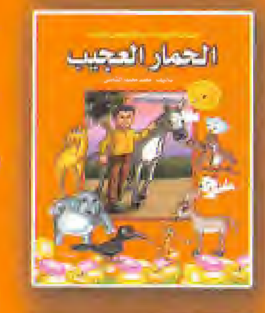
قال الحمار: لقد قال الابن: كنت أسمع أن لأبى علامة بين كتفيه تشبه الهلال.. فلما كشف العزير بين كتفيه وجد الابن العلامة، وتثبت أهل القرية من صدق العزير.. وهكذا جعل الله سبحانه هذه القصة آية للناس..

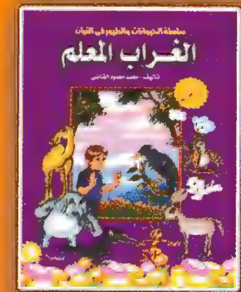
قال أحمد: إنها قصة رائعة حقًا ومفيدة.. وأنا أشكرك أيها الحمار العجيب فقد أمتعتنى بحكاية جدك..

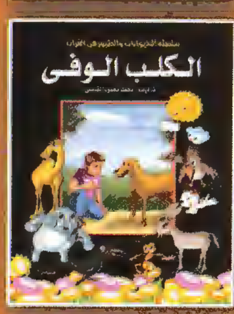


قصص الحيوانات والطيور فى القرآن









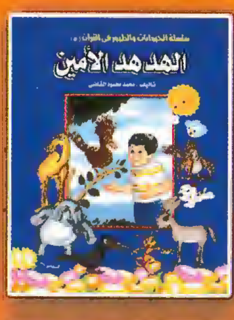
قصص القرآن الكريم أحسن القصص وأجملها وأمتعها ، كما أنه ملىء بالعظات والعبر والحكم .

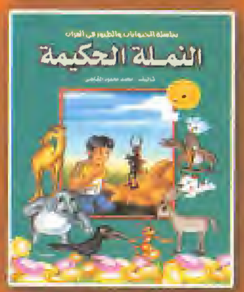
وفى القرآن الكريم قصص كان لبعض الحيوانات والطيور فيها ذكر ودور نقف معها فى هذه السلسلة وقفات تأمل ودراسة نتعلم منها ونستفيد من أحداثها ، ونستلهم مقصودها ، ونقدمها لفتياننا وفتياتنا نماذج حية واقعية لمعان نتمنى أن نراها فى أنفسنا .

كما أن وراء ذكر هذه الحيوانات والطيور معنى آخر ينبغى أن نلتفت إليه وهو أن الله سبحانه يريد أن يعلمنا أن هذا الكون بما فيه من نبات وحيوان وجماد وطيور منقاد لحكمه ومنفذ لأوامره ومسبح بحمده (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) (الإسراء : ٤٤)

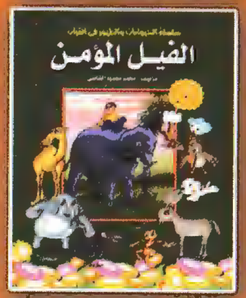
فهيا بنا نقرأ ونتعلم

الناشر









دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com